

أضواء البيان

. @ 239

وفي قوله : { وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ } وغير ذلك من الآيات . .

ومن رأى هذا التسخير اعترف بالفضل والقيام بالحمد ، وتقديم الشكر كما قال تعالى : { وَاللَّيْدُونَ جَعَلْنَا هَآءَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُم فِيهَا حَيْرٌ فَأَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقَانِيعِ وَالْمُعْتَرِّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَا هَآءَا لَكُم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } . .

وقوله : { وَاللَّيْدُونَ خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ وَالْأَرْضِ نِعَامٍ مَّا تَرَكُوا لِيَتَسَوَّوْا عَلَى طُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَىٰ يَدَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَآذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ } . .

أي مع شكر النعمة الاتعاط والعبرة والاستدلال على كمال القدرة . .
ومنها المعاد والمنقلب إلى الله تعالى ، فقوله : { وَإِلَيْهِ الذُّشُورُ } بعد المشي في مناكب الأرض وتطلب الرزق وما يتضمن من النظر والتأمل في مسببات الأسباب وتسخير الله لها ، كقوله تعالى : { وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ } بعد ذكر { خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا } أي الأصناف وتسخير الفلك والأنعام والبحر والبر فيه ضمناً إثبات القدرة على البعث ، فيكون المشي في مناكب الأرض واستخدام مناكبها واستغلال ثرواتها والانتفاع من خيراتها لا لطلب الرزق وحده ، وإلا لكان يمكن سوقه إليهم ، ولكن للأخذ بالأسباب أولاً ، وللنظر في المسببات والعبرة بالمخلوقات والتزود لما بعد الممات ، كما في آية الجمعة : { فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } . .

أي عند مشاهدة آيات قدرته وعظيم امتنانه . .

وعليه ، فقد وضع القرآن الأمة الإسلامية في أعز مواضع الغنى ، والاستغناء والاستثمار والإنتاج ، فما نقص عليها من أمور دنياها إلا بقدر ما قصرت هي في القيام بهذا العمل وأضاعت من حقها في هذا الوجود . .

وقد قال النووي في مقدمة المجموع : إن على الأمة الإسلامية أن تعمل على استثمار